

الفصل السادس عشر

الطرق العامة في التدريس

obeykandi.com

طريقة دراسة القرآن الكريم :

كان الاطفال قبل تعلم القراءة والكتابة يحفظون سوراً قصيرة من القرآن الكريم بطريقة التلقين بأن يلقنهم سيدنا بعض السور الصغيرة فيقرؤها امامهم ويكرروها معه عدة مرات حتى يحفظوها عن ظهر قلب . وكان سيدنا يستعين بالعريف وكبار التلاميذ في تعليم المبتدئين من الاطفال . ويؤخذ على هذه الطريقة عدم الاهتمام بشرح معاني السور التي تحفظ فالاطفال كانوا يحفظون بطريقة التكرار من غير فهم للمعنى للتبرك بالقرآن الكريم وبث الروح الدينى . . روح الصلاح والتقوى في نفوس النشء من الصغر ولاعتقاد المعلمين أن مرحلة الطفولة خير وقت للحفظ الآلى والتذكر . يقول الشاعر العربى :

ارانى انسى ماتعلمت فى الكبر ولست بناس ماتعلمت فى الصغر
وفى هذا القول نظر .

والقرآن الكريم ائمن ذخيرة فى نظرننا نحن المسلمين ، يجب تذكرها والاحتفاظ بها دائماً والنقد الذى يوجه الى هذه الطريقة فى التربية الحديثة . . الحفظ من غير فهم للمعنى ، فالتربية اليوم تتطلب تفهيم المعنى هذا من قول ابن قتيبة الدينورى فى كتاب عيون الاحبار . «اول العلم الصمت والثانى الاستماع . والثالث الحفظ . والرابع العقل » .

ولقلة من كان يعرف الكتابة فى العصر الاسلامى الاول كان المسلمون يعتمدون على ذاكرتهم اكثر من اعتمادهم على الكتابة . ولهذا عنى الادباء والشعراء من المسلمين بحفظ ما يسمعون من الأدب والشعر . وقد عرف العرب بالحفظ وقوة الذاكرة للمرانة المستمرة والتعود على الحفظ . وكانوا يذكرون :

ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم الا ما حواه الصدر
ويقولون :

اذا لم تكن حافظا واعيا فجمعك للكتب لا ينفع

أحضر بالجهل في مجلسي وعلمى في الكتب مستودع
ويقولون :

استودع العلم قرطاسا فضيعه وبئس مستودع العلم القراطيس
فالعرب قبل الاسلام قد اعتادوا الحفظ قبل فهم المعنى ويبسوا
هذا من قول ابن قتيبة الدينوري في كتاب الاخبار : « أول العلم الصمت
والثاني الاستماع . والثالث الحفظ . والرابع العقل . والخامس النشر »
وهناك من علماء الاسلام من رأى فهم القطعة قبل حفظها والبدء
بإدراكها تمام الإدراك قبل استظهارها ، كابن المبارك حيث قال : أول
العلم النية ثم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر .
واننا نحبذ رأى ابن المبارك في أن يبدأ الطفل التعلم بالاستعداد له
والإصغاء الى الدرس والانتباه له حتى يفهمه ، ثم حفظه عن ظهر قلب
ثم العمل بالعلم ثم نشر ما تعلمه . وقد نقد ابن خلدون في مقدمته
طريقة حفظ القرآن قبل تفهيم التلاميذ ما يحفظونه منه .
ولاجادة التدريس جعل مدرس خاص لتحفيظ القرآن الكريم
وآخر لتعليم الاطفال القراءة والكتابة والخط . وقد عني المسلمون
عناية كبيرة بالخط . واتقنوه اتقاناً تاماً وعدوه فنا من الفنون الجميلة .
ولكى لا تكون الآيات القرآنية معرضة للمحو من الألواح كانوا يفضلون
اختيار بعض الحكم والآيات الشعرية في تعليم الخط والقراءة
والكتابة .

تدريس الشعر للأطفال :

لفلاسفة الاسلام طريقة خاصة في تدريس الشعر فقد كان
المدرسون يختارون للأطفال الاشعار السهلة في العبارة واللغة القصيرة
الآيات الخفيفة في الوزن كي يسهل عليهم حفظها وفهمها . وكانوا
يراعون في اختيارها ما قيل في مدح الأخلاق النبيلة ، وذم الرذيلة كمدح
الكرم وذم البخل والحث على حب الوالدين واطاعتهم . وفي هذا المعنى
قال ابن سينا : « وينبغي أن يروى الصبي الرجز (١) ثم القصيدة فان
رواية الرجز أسهل وحفظه امكن لان بيوته أقصر ووزنه أخف . ويبدأ
من الشعر بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل وعيب السخف
وما حث فيه على بر الوالدين واصطناع المعروف وقرى الضيف وغير

(١) الرجز : ضرب من الشعر أبياته قصيرة واوزانه خفيفة .

ذلك من مكارم الأخلاق (١) وقد حذروا من تعليم الاطفال أشعار الغزل والغناء .

فدراسة الشعر كانت دراسة مباشرة للأخلاق وسبيلا من سبل بث الأخلاق الكريمة وقد فكر علماء الاسلام في أثر الأوزان الشعرية في نفوس الاطفال وغرس الأخلاق الحسنة بتلك الدراسة . وفي حفظهم للشعر الخلقى السهل العذب كانوا يربون الاطفال تربية جمالية ويبثون في نفوسهم الذوق الفنى الجميل ويشبعون ميولهم الغريزية للناحية الموسيقية بالشعر الموسيقى وان لم يذكروا ذلك في كتابتهم . ولا يمكننا ان ننكر انهم لم يراعوا في اختيارهم ما يميل اليه الاطفال من شعر حول الحيوان والأزهار والقصص .

التدريس في المراحل العالية :

١ - اللحاق بالمعاهد العليا بدون قيود أو شروط :

تبدا مرحلة التعليم العالى فى التربية الاسلامية بعد سن البلوغ . وقد يدرسها الطالب فى خمس سنوات وقد يستمر فى دراسته العالية أكثر من عشر سنوات . ولم يكن اللحاق بالمعاهد العليا مقيدا بشروط خاصة ، بل كانت المعاهد ميسرة لكل راغب فى التعليم متعطش للعلم قادر على الدراسة فيدرس ما يشاء من العلوم ويختار من يريد من العلماء ويظل منتظما فى حلقات العلم مستمرا فى تلقيه مادام لديه رغبة فى العلم وميل للبحث ، وقد يتلقى الطالب العلم عن شيخه فى داره أو فى أى مكان . وكان المسلمون يقصدون المسجد للعبادة أو للدراسة فى حين ان المدرسة كان يؤمها المتعطشون للعلم الراغبون فيه وهذا كله يدل على روح الحرية والديمقراطية فى التربية الاسلامية .

٢ - الرحيل فى سبيل طلب العلم :

وفى المرحلة العالية كانت التربية الاسلامية تمتاز بالرحلات فى طلب العلم ، والمقصود بالرحلة ان ينتقل الطالب من بلدة الى أخرى لتلقى العلم مباشرة عن استاذ كبير فى مادة من المواد . وقد تستغرق الرحلة احيانا عدة سنوات ينتقل فيها الطالب فى المدن الاسلامية المختلفة يقابل فيها

(١) كتاب السياسة لابن سينا ص ١٢ .

مشهورى العلماء ويأخذ العلم من منابعه الأولى . وقد يسافر الطالب الى اقصى بلد اسلامى لطلب العلم على احد الشيوخ ولم يعبأ الطلاب ببعده المسافة او مشقة السفر والرحلة في سبيل تلقى العلم . وكثيرا ما كان طلبة طبرستان وبخارى يطلبون العلم في مصر وطلبة الأندلس يتلقون العلم في اصفهان . وكان العلماء من المسلمين يعاملون معاملة أبناء أمة واحدة هي الأمة الاسلامية مهما اختلفت بلدانهم الأصلية . وكان للرحلات أثر عظيم في النهوض بالكبار من المتعلمين وفي تربيتهم من النواحي العلمية والعملية والعقلية والاجتماعية والدينية والثقافية .

ويحكى عن ابن اعرابي - وقد كان لغويا مشهورا بالكوفة في القرن الثانى من الهجرة - انه رأى في مجلسه يوما رجلين يتحادثان فقال لاحدهما : من اين انت ؟

فاجاب : من اسبيجاب (وهى مدينة قريبة من الصين في اقصى بلاد الشرق)

وقال للآخر : من اين انت ؟

فاجاب : من الأندلس .

فعجب لذلك :

وقد شرح ابن خلدون الأسباب في شدة عناية المسلمين بها حيث قال :

« والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعلما والقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة الا أن حصول الملكات المباشرة والتلقين أشد استحكاما واغوى رسوخا . فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها . فالرحيل كان لتلقى العلم عن العلماء . ومحاكاتهم في علومهم وأخلاقهم ومعرفة مذاهبهم » .

ويرى الحاج خليفة في كتابه (كشف الظنون) ما رآه ابن خلدون في الرحلات العلمية ويزيد على قوله : ان لقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيد الطالب في معرفة الاصطلاحات وتمييزها بما يراه من اختلاف طرقهم .

والحق أن الفرض من الرحلة كان في الاصل جمع الاحاديث النبوية حينما احس المسلمون بوجوب تدوين الاحاديث وتمحيصها لأنها هامة

جدا من الناحية الدينية ومصدر من مصادر الدين ، فرحل العلماء الى جميع جهات الامبراطورية الاسلامية في القرن الثاني من الهجرة للاتصال بالعلماء والرواة الذين كانت لهم صلة بمن عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم او عاصروا الصحابة فقد ذكر عن ابن شهاب عن ابن عباس انه قال :

« كان يبلغنا الحديث عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلو اشاء ان ارسل اليه حتى يجيئني فيحدثني فعلت ولكني كنت اذهب اليه فأقبل على بابه حتى يخرج الى فيحدثني (١) » .

وقال يحيى بن سعيد : انى كنت اسير الليالى والايام في طلب الحديث الواحد .

ثم استمرت الرحلات في سبيل طلب العلم حتى صارت من دعائم التربية الاسلامية وقد استفاد الطلبة من السفر وزيارة البلاد المختلفة والاتصال بالائمة والعلماء والادباء والفضلاء . . . كثيرا من التجارب العملية المفيدة والآراء العلمية الثمينة .

٣ - حرية الطلاب والاساتذة :

لم يكن في المعاهد الاسلامية فصول لكل فرقة من الفرق الدراسية ولا نقل من فرقة الى اخرى او من صف الى صف وكان الطلاب احرارا في حضور دروسهم واختيار اساتذتهم وكان الاساتذة احرارا في تحديد عدد المحاضرات التي يلقونها كل اسبوع واختيار الاوقات التي يريدونها بعد صلاة الفجر او عند شروق الشمس او بعد صلاة الظهر او بعد صلاة العصر او بين المغرب والعشاء . وكان بعضهم يلقي محاضرة كل يوم وبعضهم يلقي محاضرة كل اسبوع . وحينما تبدأ الصلاة تتوقف المحاضرات حتى ينتهي المصلون من الطلاب والاساتذة من صلاتهم . وبعد الانتهاء من الصلاة تبدأ المحاضرات في حلقات . ولكل حلقة استاذ خاص يقوم بالتدريس للطلبة الذين يحضرون فيها .

٤ - تنوع اساليب التدريس وطرقه في المعاهد العالية :

كانت اساليب التدريس في المعاهد الاسلامية العالية متنوعة وطرقه متعددة ولم يقتصر الاساتذة على طريقة خاصة في تدريسهم

(١) ارجع الى جامع بيان العلم وفضله للنمري القرطبي ج ١ ص ٩٤ .

فأحيانا كان العالم من العلماء يملئ درسه على الطلبة من ذاكرته وليس في يديه مذكرات أو كتب يملئ منها وهذا يدل على تمكنه من مادته .
وإذا كان عددهم كبيرا اختار واحدا أو اثنين من المعيدين لاعادة ما أملاه عليهم كي لا يفوتهم شيء مما يقوله .

قال ابو العباس ثعلب عن ابن الاعرابي اللغوي المعروف بالكوفة :
شاهدت مجلس ابن الاعرابي وكان يحضره زهاء مائة أنسيان . ولقد املئ
على الناس ما يحمل على جمال ولم يكن بيده كتاب (١) وهذا يدل على
غزارة مادته وسعة اطلاعه وثقته بنفسه .

* وقد قيل ان السيد محمد بن وهبة الله كان اماما في عصره وتولى
الاعادة (اي كان معيدا) بالمدرسة النظامية ببغداد وان الشيخ ابا اسحق
السيرازي الفيروزابادي قد صحب القاضي الطبري وكان ينسب عن
الطبري في مجلسه وتدريسه ورتبه معيدا في حلقة .

وأحيانا كان الطالب يقرأ قطعة صغيرة من الكتاب الذي يدرسه
الاستاذ للطلبة لتكون مقدمة لدرسه ثم يبدأ الاستاذ بشرح معنى تلك
القطعة وتوضيحها والتعلق عليها حتى يفهم الطلبة المقصود منها . ويتبع
المدرس في طريقته الخطوات الآتية :

أولا : يبدأ بقراءة النص وشرحه .

ثانيا : يأتي المدرس بالأراء المختلفة في الموضوع ويوضحها .

ثالثا : يدلي برأيه الخاص في الموضوع ويؤيده بالدليل .

رابعا : يوازن بين موضوع البحث والموضوعات المشابهة له .

خامسا : يعطى الطلبة الفرصة في ان يسألوا ما يشاؤون من الأسئلة
ويجب عنها ولا يترك درسا حتى يفهم الطلبة كل الفهم .

وكان المعلمون من المسلمين يلقون دروسهم بهدوء ويعملون بكل
اخلاص ويتحلون بالأداب العالية والاخلاق الكريمة لا يحقدون على غيرهم
ولا يظلمون سواهم ولا يفكرون في النواحي المادية الخاصة بالدرجات
والعلاوات والترقيات لأنهم زاهدون قانعون بالضروريات للمحافظة على
الحياة .

(١) ارجع الى كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ج ١ ص ٦٢٣ .

٥ - طريقة المحاضرات :

كان المحاضر يعد محاضراته ويدونها نقطة نقطة ثم يتكلم عن كل نقطة كلام استاذ متمكن من مادته فيدون الطلبة ما يفهمونه من الآراء في مذكراتهم الخاصة ولم يكن المحاضرون ممن يحفظون محاضراتهم ويقولون ما لا يفهمون بل كانوا يفهمون كل فكرة يذكرونها ويشرحونها بوضوح . ولم يكونوا ممن يعتمدون على ما في أيديهم من مذكرات فاذا أخذت هذه المذكرات منهم وقفوا حيارى لا يستطيعون أن يذكروا شيئا لطلابهم . فقد كانوا علماء حقا واسعى الاطلاع لا يحتاجون الى النظر في كتب أو مذكرات في أثناء المحاضرات .

وقد شرح ابن خلدون طريقة المحاضرات في مقدمته ونقد اعتماد الطلاب على المتن والمختصرات في العلوم وشجع الاسهاب والسهولة في الموضوعات ثم ذكر آراء ثمينة لا تختلف عن الآراء في التربية الحديثة اليوم نلخصها فيما يلي :

لكي ينتفع الطالب بالمعلومات يجب الا يتلقاها المتعلم مرة واحدة بل يتدرج معه فيها ويأخذها شيئا فشيئا . وينبغي ان يبدأ المحاضر درسه باعطاء فكرة عامة مجملة عن الموضوع يلخص فيها اصول الباب وهي النقط الرئيسية في محاضراته مع تجنب التفاصيل المعقدة التي يصعب على الطلاب فهمها في بدء الدرس .

ويراعى في ذلك قوى عقله (عقل الطالب) واستعداده لقبول ما يرد عليه ثم يعود ثانية الى الموضوع فيرفعه في التلقين عن تلك المرتبة الى مرتبة اعلى منها يستوفى فيها الشرح والبيان . وينتقل من الاجمال الى التفصيل ويذكر للطالب نواحي الخلاف في الموضوع وأوجه النظر . ويعيد الدرس مرة ثالثة . يعالج فيها الموضوع بطريقة اكثر عمقا فلا يترك عويضا ولا بهما ولا صعبا الا وضحه وفتح له مغلقة (١) .

فابن خلدون ينادى بالتدريج في اعطاء المادة حتى يفهم الطلبة الدرس ويتضح في نفوسهم . ويتفق مع علم النفس في اعطاء المتعلم فكرة عامة اجمالية عن الموضوع ثم الانتقال الى تفصيل كل نقطة من الدرس بعد الاجمال . ويرى مراعاة استعداد الطالب من الناحية العقلية فالذكي يفهم المحاضرة بمجرد استماعها للمرة الاولى ومن كان فوق المتوسط في الذكاء

(١) مقدمة ابن خلدون يتصرف ص ٤٨٩ .

يفهمها بعد استماعها مرتين والمتوسط يدركها بعد الاصغاء اليها ثلاث مرات وينادى بذكر النقط الهامة في البدء ثم شرحها بالتدرّيج ثم معالجتها بتعمق في المرة الثالثة بحيث يفهم كل طالب ائدرس في النهاية فهما جيدا .

والعبدري يطالب بفهم الموضوع ودراسة الآراء المختلفة فيه واختيار الراى الصحيح والموازنة بينه وبين غيره . ومن هذا كله نرى ان طرق التدريس فى التربية الاسلامية منطقية معقولة ولا تختلف عن الطرق الحديثة فى التربية .

٦ - طريقة المناظرة :

كانت المناظرة من مميزات طرق التربية الاسلامية ولا ينكر أحد أثرها فى شحذ الذهن وتقوية الحجة والتمرن على سرعة التعبير والفوق على الاقران وتعويد المناظرين الثقة بالنفس والقدرة على الارتجال ولهذه الاسباب عنى بها المسلمون عناية كبيرة وعدوها طريقة من طرق التعليم وأشاروا اليها فى كتبهم الأدبية . فقد تناظر الامام الغزالي مع مشهورى العلماء وقادة الفكر فى معسكر الوزير نظام الملك وانتصر عليهم جميعا . وقال السبكي (١) يصف اسماعيل بن يحيى بأنه جبل من العلم ، على جانب عظيم من المهارة فى المناظرة . وقال عنه الامام الشافعى رضى الله عنه : لو ناظر الشيطان لغلبه .

وكان العلماء يشجعون طلبتهم على المناقشة والمناظرة ويوجبون عليهم التمرن عليها . وكان الطالب يخالف استاذة فى الراى أحيانا مع مراعاة التأدب والاحترام .

وقد نقد ابن خلدون الركود ذهنى فى بلاد المغرب فى القرن الرابع عشر الميلادى وعزاه لرداءة الطرق فى التدريس لأنها أهملت المناقشة والمناظرة فى طريقة التعليم حيث قال :

« وأيسر طرق هذه المملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة فى المسائل العلمية فهو الذى يقرب شأنها ويحصل مرامها . فنجد طلاب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم فى ملازمة المجالس العلمية ،

(١) فى كتاب طبقات الشافعية الكبرى ج ١ ص ٢٢٨ .

سكوتا لا ينطقون ولا يفاضون . وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم .

فابن خلدون يرى أن المناظرة في المسائل العلمية تساعد على فهمها وقدرة التعبير عنها وينتقد سكوت الطلبة وعدم تكلمهم فيما عرفوا من العلوم كما يأخذ عليهم العناية بالحفظ أكثر مما تقتضيه الحاجة . قال الشاعر :

العلم بالفهم وبالمذاكرة والدرس والفكرة والمناظرة

ويرى الزرنوجي أن قضاء ساعة واحدة في المناقشة والمناظرة أجدى على المتعلم من مكث شهر كامل في الحفظ والتكرار .

وقد كان للعناية بالمناقشة والمناظرة والحوار بالاسئلة والاجوبة اثر حيوى كبير فى طالب العلم جعله يشترك فى أن يعلم نفسه بنفسه ويعتاد حسن التفكير وجودة التعبير والقدرة على النقد والقوة فى الاقناع والاعتماد على النفس وحرية الفكر .

والحق ان علماء الاسلام كانوا مولعين كل الولع بالمناظرة حتى جعلوها من أنواع التسلية والترويح عن النفس والمتعة الادبية . وان الميل الى العلنية والجهر بالرأى فى التربية الاسلامية قد شجع الطلاب والعلماء على المهارة فى الخطابة والقدرة على الارتجال والتعبير عن الافكار . والخطابة الارتجالية تراث عربى خالد افتخر به المسلمون فى جميع الأجيال . وبالخطابة والمناظرة استفنوا عن كتابة المقالات والرسائل فى كثير من الأحيان .

ولنذكر هنا على سبيل المثال احدى المناظرات الهامة التى حدثت فى مجلس هارون الرشيد وهى مناظرة لغوية مشهورة حدثت بين سيبويه والكسائى وقد زعم الكسائى فيها أن العرب تقول : « كنت أظن الزنبور أشد لسعا من النحلة فاذا هو أياها » .

فقال سيبويه : بل الصحيح : « فاذا هو هى » فتشاجرا طويلا واتفقا على مراجعة عربى خالص لا يشوب كلامه شئ من كلام أهل الحضرة . وكان الرشيد شديد العناية بالكسائى لأنه كان معلما له . فاستدعى عربيا وسأله فقال كما قال سيبويه .

فقال الرشيد له : نريد أن تقول كما قال الكسائى .

فقال العربى : ان لسانى لا يطاوعنى على ذلك فانه ما يسبق الا الى

الصواب فقررُوا معه أن شخصا يقول : قال سيبويه كذا وقال الكسائي كذا فالصواب مع من فيهما فيقول العربي : مع الكسائي .

فقال العربي : « هذا يمكن »

ثم عقد لهما المجلس واجتمع ائمة هذا الشأن وحضر العربي وقيل له ذلك فقال : الصواب مع الكسائي وهو كلام العرب .

فعلم سيبويه أنهم تحاملوا عليه وتعصبوا للكسائي فخرج من بغداد (١) . وما كنا ننتظر أن يعامل سيبويه هذه المعاملة وأن تغير الحقائق بالتحايل وأن يتعصب للكسائي مع أنه كان مخطئا في قوله . فلما أحس سيبويه بالظلم والتحامل عليه والتعصب للكسائي بدون حق حتى ترك بغداد وخرج منها .

ولنذكر أيضا مناظرة أوردها أبو حيان التوحيدي في كتابه الامتناع والمؤانسة (٢) حيث قال : ان مجلس الوزير ابن الفرات انعقد مرة سنة ٣٢٦ هـ وفيه أبو سعيد السيرافي وابن فراس وأبو بشر متى ورسول ابن طفج من مصر وكثير غيرهم .

وقال الوزير : ألا ينتدب منكم انسان لمناظرة متى في حديث المنطق؟ فانه يقول لا سبيل الى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين الا بما حوينا من المنطق . . . فاحجم القوم .

فقال ابن الفرات : والله ان فيكم لمن يفى بكلامه ومناظرته فاني لأعدكم في العلم بحارا .

فقال أبو سعيد السيرافي : أعذر أيها الوزير فان العلم المصون في الصدر غير العلم المعروض في هذا المجلس على الاسماع المصيخة والعقول الحادة .

فقال ابن الفرات : أنت لها يا أبا سعيد فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك والانتصار لنفسك راجع الى الجماعة بفضلك .

فقبل السيرافي ودارت مناقشة طويلة ممتعة ذكرها كلها أبو حيان التوحيدي نذكر منها مسألة صغيرة وصلت اليها المناقشة .

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٥٤٩ .

(٢) ج ١ ص ١٠٨ .

قال أبو سعيد السيرافي : ما تقول في قول القائل : « زيد أفضل
الاخوة ؟ » .

قال متى : صحيح .

قال أبو سعيد : فما تقول ان يقال : « زيد أفضل اخوته ؟ » ،

قال متى : صحيح أيضا .

قال أبو سعيد : فما الفرق بينهما مع الصحة ؟

فغص متى بريقه ولم يجب .

فقال أبو سعيد أفتيت على غير بصيرة ولا استنباط المسألة الأولى
جوابك عنها صحيح وان كنت غافلا عن وجه صحتها . والمسألة الثانية
جوابك عنها غير صحيح وان كنت أيضا ذاهلا عن وجه بطلانها .

قال متى : بين لي هذا ؟ .

قال أبو سعيد : ليس هذا مكان التدريس اذا حضرت الحلقة
استفدت .

قال الوزير ابن الفرات : تمم لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون
الفائدة ظاهرة للمجلس .

قال أبو سعيد : زيد أفضل الاخوة صحيح لأن زيدا بعض الاخوة
وأحدهم فكأنك تقول : حمارك أفره (١) الحمير . واما زيد أفضل اخوته
فخطأ لأن زيدا ليس بعض اخوته اذ ان اخوته غيره ، فكأنك قلت : حمارك
أفره البغال .

٧ - الطريقة التي كان الطالب يتبعها في التعلم فردية :

(١) كان نظام التعليم فرديا في التربية الاسلامية ، فالطالب يتمتع
بقسط كبير من الحرية يختار من المواد الدراسية ما يناسب ميوله الفطرية
واستعداداته العقلية ويختار العالم الذي يتلقى عنده العلم ويحضر ما يلقيه
أستاذه من المحاضرات . ويقرا المادة ويدرسها ويعدها قبل الدرس حتى
يفهمها ويسأل أستاذه فيما صعب عليه منها . وهو حر غير مقيد بنظام

(١) الفاره : الحاذق بالشئ والمليح الحسن ومن الدواب الجيد السير .

معين ولا بجدول أوقات دروس وليس مطالبا بامتحانات خاصة للنقل من صف الى آخر أو من فرقة الى أخرى .

(ب) التعلم بالحفظ والاستظهار :

كان العلم بالحفظ والاستظهار طريقة مألوفة في الامم القديمة والحديثة وكان علماء الاسلام يعنون بحفظ القرآن الكريم والأحاديث الشريفة عناية كبيرة . فقد ذكر ابن خلكان في كتابه (وفيات الاعيان) ان ابن حنبل حفظ عن ظهر قلب ألف ألف حديث ، في حين ان البخارى قد حفظ وهو صبي ما يقرب من خمسة عشر ألف حديث . وذكر ابن عساكر عن داود الحفاف انه قال : « املى علينا ابن راهويه أحد عشر ألف حديث من الذاكرة ثم اعادها دون أن ينقص أو يزيد حرفا واحدا . وهذا دليل على قوة ذاكرته » . وقال الخليل بن أحمد : « ما سمعت شيئا الا كتبتة ولا كتبتة الا حفظته وما حفظته الا نفعنى » فلحرص العلماء كانوا يكتبون كل ما يسمعون ويحفظون ما يكتبون وينتفعون بما يحفظون ولا يمكنهم الانتفاع بما حفظوه الا اذا فهموه جيدا .

وقال موفق الدين البغدادي : « واذا قرأت كتابا فاحرص كل الحرص على أن تستظهره وتملك معناه ، وتوهم أن الكتاب قد عدم وانك مستغن عنه لا تحزن لفقده » وهذا يدل على ان الطلاب كانوا يعنون بالفهم عنايتهم بالحفظ وكانوا يحفظون الكتاب بحيث اذا ضاع أو فقد استغنوا عنه ولم يحزنوا لضياعه أو فقده .

وفي الادب العربي امثلة كثيرة لمن كانوا يحفظون القصيدة الطويلة بعد أن يسمعوها من قائلها مرة واحدة لما أوتوا من قوة كبيرة في التذكر . وقد عزا بعض فلاسفة الاسلام القدرة على التذكر الى عوامل نفسية ومادية كالاستمرار في المذاكرة والاعادة والمراجعة وبذل الجهد في الدرس والبعد عن المشاغل والآلام والتفرغ للعمل والدراسة في جو من الهدوء والايمان . واننا نتفق معهم في كل ما أبدوه من الاسباب .

وان من يفحص عن الامر يجد أن العناية بالذاكرة كانت أثرا من آثار

(١) في كتاب تاريخ دمشق ج ٢ ص ٤١٢ .

العقائد الدينية في بدء الاسلام . ففي الوقت الذي ظهر فيه الاسلام كان معظم العرب اميين لا يقرءون ولا يكتبون ، فاعتمدوا على ذاكرتهم كل الاعتماد في تذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتعليمات الدينية والقواعد الاسلامية والأشعار والقصص العربية .

ومع عناية علماء الاسلام بالحفظ والذاكرة لم يهملوا مطلقا العناية بالتفكير فيما يحفظ وشرحه وتحليله وفهمه حق الفهم . فقد جعلوا الحفظ وسيلة لا غاية لقله من يجيد القراءة والكتابة في بدء الاسلام . وقد نادى الحاج خليفة في كتاب : « كشف الظنون » بأهمية الفهم والاستنباط والانتقال من المنطوق الى المفهوم والمدلول . وقال موفق الدين البغدادي : « ولا تظن أنك اذا حصلت على علم فقد اكتفيت بل تحتاج الى مراعاته لينمي ولا ينقص » . ومراعاته تكون بالذاكرة والتفكير واشتغال المبتدئ بالحفظ والتعلم ومباحثة الأقران واشتغال العالم بالتصنيف فالبغدادي ينصح المتعلم بالذاكرة والتفكير والحفظ والتعلم ومناقشة الزملاء للمحافظة على ما تعلمه وتنميته كما ينصح العالم بالتصنيف أو التأليف ليزداد في بحثه وعلمه وتثبت المعاومات في ذهنه .

وقال الشيخ برهان الاسلام ناصحا المتعلم : « الا يكتب شيئا لا يفهمه لان ذلك يورث كلال الطبع ويذهب الفطنة وينبغي أن يجتهد في الفهم من الاستاذ ويكثر من التأمل والتفكير » .

فهل بعد هذا يستطيع مدع أن يدعى أن المسلمين كانوا يعنون بحفظ المادة ويهملون فهمها ؟ الحق أن طريقة التعليم في التربية الاسلامية عنيت بفهم المادة عنايتها بالحفظ ولم تهمل الفهم والتأمل والتفكير فيها مطلقا . فالطلبة كانوا يكثر من مناقشة أساتذتهم وكانت الأسئلة تنهال عليهم من كل صوب بعد الانتهاء من المحاضرة . وكان العلماء لا يتركون نقطة الا بعد فهمها جيدا . وحرية السؤال كانت مكفولة للجميع . وكان للطلاب الحرية المطلقة في ابداء رأيه وقد يختلف مع استاذه في الرأي أو الفكرة . فقد قيل : ان ابن العباس خالف أساتذته في الرأي وهم عمر وعلي وزيد بن ثابت وهم من المسلمين المشهورين كما اختلف الامام مالك مع معظم أساتذته في بعض الآراء ثم خالفه في الرأي كثير من تلاميذه (١) .

(١) ارجع الى كتاب الاسلام والحضارة العربية لكردي علي ج ٢ ص ٨ .

٨ - الامتحانات :

فى التربية الاسلامىة لم يطلب من المتعلمين تأدية امتحان بعد الانتهاء من الدراسة كالامتحانات التى تعقد فى عصرنا هذا . وقد ذكر ابن أبى أصيبعة (١) حالة واحدة جاء فيها انه عقد امتحان لأطباء بغداد فى عهد الخليفة المقتدر « فى القرن العاشر الميلادى » بحضرة سنان بن ثابت الذى كان يمتحن الأطباء امتحانا شفهيًا .

وبدلا من الامتحان كان الأساتذة يعطون طلبتهم الأكفاء شهادة أو اجازة ينصون فيها على أن الطالب أتم دراسة منهج معين تحت اشراف الأستاذ فلان ، دون أن يؤدى الطالب امتحانا . والغرض من الاجازة الاقرار بكفاية الطالب واجتهاده وانكبابه على العلم وتفرغه للدراسة والبحث . وكانت الاجازة العلمية شهادة شخصية من الأستاذ لتلميذه وليس فيها عنوان معهد معين . ولا يذكر فيها لقب علمي .

(١) فى كتاب طبقات الأطباء .